وسائل الاعلام الاميركية وحرب تشرين

الدكتور ميشيل سليمان

ربما كانت أهم نتائج حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ بين العرب واسرائيل هي « تحطيم الاساطير » حول النزاع الرئيسي في الشرق الاوسط . وبالفعل ، ستجادل هذه المقالة بأن الحرب نفسها كان يمكن تجنبها لولا شيوع وقبول افتراضات خاطئة معينة بين الزعماء الاسرائيليين وانصارهم الغربيين ؛ وبخاصة الولايات المتحدة . وكما كتبت في مكان آخر ، فقد حققت اسرائيل نجاحا كبيرا (بينما فشل العرب فشلا ذريعا) في جهودها لحمل الغربيين على النظر الى الشرق الاوسط وشعوبه من خلال عيون الاسرائيليين(١) . ان ما يعنيه هذا هو ان الشعب الاميركي وزعماءه السياسيين كانوا مقتنعين ، حتى تشرين الاول ١٩٧٣ على الاقل ، بان الرواية الاسرائيلية لتطورات الشرق الاوسط هي في آن معا أكثر « موضوعية » او « واقعية » وأكثر فائدة في دفع مصالح الولايات المتحدة الى الامام في المنطقة من تقييم الحالة الذي تقدم به العرب او حتى أصدقاء اميركا من العرب . وقد حطمت حرب ١٩٧٣ الكثير من الاساطير الاميركية الرائجة حول الشرق الاوسط وقوضت تقويضا خطيرا الافتراضات المختلفة التي كانت السياسة الخارجية الاميركية ترتكز اليها . لذا من المفيد ان نبدأ بوصف وتعداد تلك الاساطير ، التي تحطم بعضها في الغرب وبين بعض الاسرائيليين .

الافتراضات الاسرائيلية والاميركية حول الشرق الاوسط

في حين ان جميع الحركات القومية هي ، بمعنى من المعاني ، محاولات في اعادة تحديد صور الشعوب عن نفسها فان الصهيونية ، الحركة القومية اليهودية خلال القرن الماضي، يكاد يكون من غير الممكن تحديدها على هذا النحو فقط. يعني ان الدافع الرئيسي وراء الحركة الصهيونية كان رغبة أساسية في تغيير الصورة التي يحملها غير اليهود عن اليهود فضلا عن الصورة التي يحملها اليهود عن أنفسهم . وتتضح الكثير من الاعمال الصهيونية والاسرائيلية في الحرب وفي السياسة الخارجية والدعاية وتصير مفهومة أكثر اذا ما نظرنا اليها من هذا المنظور .

بادىء ذي بدء ، كان التوكيد على تغيير صورة اليهودي كشيلوك ، كتاجر ومرابٍ لا يرحم . ومن هنا الحملة للعودة الى الارض ، سعيا وراء استعادة الشباب والتجدد وفرصة ليثبتوا لليهود أنفسهم ولغير اليهود ايضا انهم « مختلفون » . كذلك كان لا بد من مقاومة صورة اليهودي كجبان أو كغير مقاتل . وهنا كان يصار الى غرس قدر كبير من التشديد على « الشجاعة » و « عدم معرفة الخوف » في نفوس الشبيبة ، أحيانا الى حد فقدان العواطف الاخرى ، بما فيها المحبة واللطف(٢) . وبالاضافة الى التربية كان يصار الى اتخاذ كل تدبير وقائي ليكونوا على **يقين تام تقريبا** من النصر في أية معركة عسكرية متوقعة مع العدو . وقد انطوى هذا على ممارسة **التفوق العددي** على قوات العدو حيث كان ذلك ممكنا(٣) . ثم بعد النصر كان التكتيك هو استخدام دعاية واسعة